

اللغة الفولانية

التمسك بالهوية الأفريقية والتأثر بالحضارة الإسلامية الفسيولوجية

مع موطن آخر لهم في فوجالو في غينيا. كما ان هناك كتابات تشير إلى وجودهم شمال الصحراء آلاف السنين قبل ظهورهم في جنوبها.

أما عن سماتهم فتتدرج ملامح الفولانيين الفسيولوجية من البشرة النحاسية والشعر الطويل الناعم، وتقاطع الوجه الدقيقة (كما هو الحال لدى بعض المجموعات البدوية وشبه البدوية (كالأمبرورو، الودابي، الويلا، والدقرا) إلى اللون الداكن والشعر المجعد والأنف الأفطس (كما عند بعض البولار والبيول في السنغال ومالي وغينيا). ويرجع هذا التباين للاختلاط والتصاهر والتمازج مع المجموعات الإفريقية الأخرى.

تتنوع أنماط حياة الفولان ومعيشتهم وبعض جوانب ثقافتهم، فمنهم من يعيش حياة موعلة في البداوة مكرسة لتربية الأبقار والضأن وخدمتها، ومنهم من يمتن الزراعة وبعضهم يجمع بين المهنتين، فيما اقتفى آخرون خطى أجدادهم مؤسسي الممالك فكرس حياته للعلم والسياسة.

وثمة شبهة في التكوين الجسماني بين العنصر النقي من الفولانيين وبين قدماء المصريين فنجد في كليهما نفس شكل الجمجمة، والوجه المخروطي، وشكل الذقن، وغياب الشوارب، والشعر الزنجي المجعد. وقد أخذوا عن قدماء المصريين أسلوب تصفيف الشعر وعادة الختان.

اللغة الفولانية وعلاقتها باللغة العربية

كانت اللغة الفولانية قبل الاستعمار لغة الإدارة في بعض الممالك مثل دولة "الإمامية" في غرب أفريقيا في القرن السابع عشر الميلادي وغيرها. وساعد على إنتشار اللغة الفولانية دور الزعماء

قارتنا الافريقية زاخرة وثرية في كل شئ حتى ألسن شعوبها إذ تنوع اللغات واللهجات الأفريقية، وقد اخترنا من تلك اللغات لهذا العدد "اللغة الفولانية"، ويطلق عليها أيضاً "الفلفلدي" وتعد من أعرق اللغات الأفريقية وأكثرها انتشاراً. فقد بدأت كتابتها منذ عدة قرون، وازدادت أهمية كتابتها في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما إهتمت بها المؤسسات التعليمية والأكاديمية الأفريقية والأجنبية ما أكسبها رصيلاً أكاديمياً في شتى النواحي اللغوية والثقافية والدينية والأدبية وغيرها.

تنتشر الفولانية في غرب ووسط وشرق أفريقيا في دول عديدة، كالسنغال ونيجيريا والكاميرون وموريتانيا وليبيريا وسيراليون وكوت ديفوار وتوجو وأفريقيا الوسطى والسودان وتشاد وغانا والنيجر وبوركينا فاسو ومالي وبنين.

ولكى نتحدث عن اللغة الفولانية، لابد أن نتعرف أولاً على متحدثيها الفولانيين وماذا عن علاقتهم بمصر والمصريين ثم نتكلم عن اللغة الفولانية ولهجاتها وخصائصها وعلاقتها باللغة العربية.

من هم الفولانيون:

الفولان قدموا على الأرجح من وادي النيل من مصر وتمتد نشأتهم من الأسرة الثامنة عشرة (توت عنخ آمون/ حتشبسوت)، حسبما يذكر الشيخ "انتا ديوب" عالم المصريات السنغالي، في كتابه "الأصول الزنجية للحضارة المصرية"، فيما يذكر آخرون أنهم قدموا من شبه الجزيرة العربية وانتشروا في أفريقيا.

وتجمع أغلب المراجع المهتمة بالدراسات الفولانية بأن أول موطن عُرف للفولانيين في إفريقيا هو "فوتا تورو" في شمال السنغال إضافةً إلى جنوب موريتانيا.

وتنتهي إلى أسرة اللغات النيجيرية الكونغوية، وهي الأسرة التي ينتمي إليها فرع الكونغو الذي يتفرع بدوره إلى ست شعب لغوية منها شعبة اللغات الأطلسية الغربية، التي تندرج اللغة الفولانية تحتها وفقاً للعالم الأمريكي "جوزيف جرينبيرج" وهو الرأي المتفق عليه عند كثير من علماء اللغة في تحديد أسرة اللغة الفولانية.

وتتعدد لهجات الفولانية حيث منها لهجة "فوتا تورو" في السنغال ولهجة "فوتاجالون" في غينيا إلى جانب لهجة "ماسينه" في مالي إضافة إلى لهجة "سوكوتو" والجزء الغربي لى جمهورية النيجر علاوة على لهجة "ادماوا" في جمهورية نيجيريا والكاميرون.

ويمكن إيجاز خصائص الفولانية فيما يلي:

لغة مجموعات اسمية

تعرف الفولانية بأنها لغة مجموعات اسمية (Noun Class Language)، فأهم ما يميزها هو أن أسماء كل الكائنات تُصنف في نظام مجموعات، تنضوي كل مجموعة تحت حقل دلالي معين وينتظم المجموعة نمط صرفي خاص بها من حيث الأفراد والجمع، فمثلاً كل الأسماء التي تشير إلى مجموعة الإنسان ينتهي المفرد منها بحرف o، والجمع بحرف e، كما في كلمة gorko أي رجل وجمعها worb'e أي رجال وكلمة laamiid'o أي ملك وجمعها laamiid'e تعنى ملوك. ووجد أسماء السوائل كلها تنتهي بـ am، كما في كلمة ndiam "ماء" و kosam "لبن"، وهكذا في بقية المجموعات. وتحتوي اللغة الفولانية على خمس وعشرين مجموعة من هذا النوع، كل منها يضم عدداً من الأسماء يتراوح بين عشرين وثمانين اسماً تقريباً، باستثناء مجموعتين، هما: مجموعة (nge-class) التي تضم ثلاثة أسماء فقط، ومجموعة (kol-class) وقوامها اسم واحد فقط.

الثلاثة أسماء التي تضمها مجموعة nge هي "البقرة" agge، و"الشمس" naange و"النار" yiite وهذه الأسماء يصعب من الوهلة الأولى التعرف على أي رابط دلالي بينها يبرر تصنيفها في مجموعة

الدينيين الفولانيين في نشر الإسلام من غرب أفريقيا إلى شرقها أمثال الشيخ "عمر الفوتي تال"، والشيخ "عثمان بن فوديو" وغيرهما.

يمتد تاريخ الحرف العربي في اللغة الفولانية إلى عصر دخول الإسلام للقارة الإفريقية، إلا أن الاستعمار استطاع أن يحل الحروف الرومانية محل الحروف العربية منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، بهدف قطع العلاقة بين متحدثي هذه اللغة وبين الإسلام واللغة العربية خدمة لأغراضه الدينية والاقتصادية والسياسية.

تأثر الأدب الفولاني بالأدب الإسلامي، فأنتج لنا ثروة من الأدب الشعري والنثري الديني "ترجمة معاني القرآن"، ومن أشهر الأدباء الفولانيين "عثمان دان فوديو" و"عمر باه" و"يرو دورو جاللو" و"فاري كاه" و"عبد الرحمن باناجي".

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن الفولانيين يحرصون على تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم حسبما يذكر د. محمد سعيد باه، الأستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الشيخ أنتا جوب بداكار، وتهتم نسبة كبيرة من أسر الفلان بانتظام أبنائها في مدارس تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، ووفقاً لباه، فهناك دواوين شعرية بالفلانية منظومة وفق القواعد الشعرية العربية، ويرجع باه منشأ هذه العلاقة إلى "البعد العقائدي" حيث كان قدامى الفلان يستخدمون العربية في كل المصطلحات ذات الصبغة التعبدية لإيصالها إلى الجمهور.

ويعتبر باه أن التطور التدريجي لهذه العلاقة وصل إلى حد استخدام الحرف العربي في لغة الفلان بالإضافة إلى تهاهي الأدب الفلاني في الكثير من جوانبه مع الأدب العربي، مشيراً إلى وجود دواوين شعرية بالفلانية منظومة وفق القواعد الشعرية العربية من أوزان وبحور.

خصائص اللغة الفولانية

اللغة الفولانية هي لغة التخاطب بين الفولانيين

واحدة عكس الحال في المجموعات الأخرى كالإنسان والسوائل.

واقع الأمر فاللغة لا تنفصل عن ثقافة المجتمع فإذا ربطنا هذه الأسماء الثلاثة بثقافة الفولانيين ، فنجد أن البقرة تمثل عصب الحياة لديهم، إذ أن كل الفولانيين في الأساس كانوا رعاة أبقار قبل أن يهجر بعضهم حياة البداوة. بل كانت تعتقد المجموعات البدوية منهم أنها تمثل سبب وجودهم فيتعاملون معها بنوع من القدسية. حيث نجد أن الفولانيين هم أول من امتلك البقرة، ومنهم أخذتها وأخذت ثقافتها بقية الشعوب التي امتلكتها فيما بعد. وتذهب تلك الروايات السائدة عند عرب الشوا حول بحيرة تشاد إلى أنه في الزمان الغابر كان البقر يعيش في الماء، ولم يروضه الإنسان بعد. فرأى عالم فولاني هذه الحيوانات وأعجب بها، فقام عن طريق السحر والأعشاب بإخراجها من الماء. وكان الناس في البداية يخافونها ويفرون منها، ولكن سرعان ما ألفوها، وتعلموا كيف يوقدون النار حول الزرائب التي تتجمع فيها فتحس الأبقار الراحة، ومن هنا كانت خصوصية كلمتي البقرة و النار في اللغة الفولانية.

أما خصوصية قرص الشمس فتفسره رواية أخرى تذهب إلى أن أحد أسلاف الفولانيين سمع صوتاً يناديه من النهر فجلس بشاطيء النهر وأوقد ناراً، وعند شروق الشمس خرجت البقرة من النهر، وكان قرص الشمس بين قرنيها. فجاءت ورقدت بجوار النار وأخذت تتكاثرونها تظهر أهمية قرص الشمس. والروايتان تحتويان على كلمات مفتاحية قد تفسر لنا كنه مجموعة "البقرة" و"الشمس" و"النار" حيث تصنف في مجموعة واحدة رغم عدم تجانسها دلاليًا. باعتبار أن "البقرة" و"الشمس" و"النار" تشكل مجموعة العناصر الحيوية في الوجود عند الفولانيين.. وتجدر الإشارة إلى أنه مازال الفولانيون الرعاة يوقدون النار في المساء حول زرائب الأبقار لتستريح، وتسمى هذه النار تحديداً في اللغة الفولانية "د'وود'ال" تكاثر "إعتقاداً بأنها تساعد على توالد الأبقار.

غزارة المادة و القدرة على الاشتقاق

تتميز الفولانية بوفرة مفرداتها بسبب مرونتها و قدرتها على الاشتقاق وتعد من أغني لغات العالم من حيث استعمال أسماء الإشارة. إذ يشتق اسم الإشارة من أول أو آخر الأسماء المشار إليه، مما يعني أن لهذه اللغة أسماء إشارة بعدد ما لديها من المفردات.

التمييز بين الأسماء وأوصافها المتفاوتة: أي يطلق أسم على كل درجة من الصفات مثل:

غوريل أي الرجل الضعيف او الصغير.

غوركو وتعنى الرجل المتوسط .

غورا وتطلق على الرجل العظيم الشأن.

ومثل فعل الامر خذ له ثلاث درجات

waddu نقول ودو إذا كان الشيء المقصود بالفعل قريباً.

waddooy وتنطق ودوى في حال كون المطلوب بعيداً.

baamtu بام تو إذا كنا نعنى أخذ الشيء ومن ثم تغيير وضعه.

الألقاب عند الفولانيين

جولّو، وهو الشخص الكثير التبسم

مودبو، وهو المؤدّب اي المعلم

لفا، وهو الفقيه

سيسسي، وهو رجل الدين

القوني، وهو الحافظ للقرآن بأكثر من روايه.

حروف اللغة الفولانية :

A b c d e f g h I j k l m mb
n nd ŋ ng ny nj o p q r
S t u w x y z